نفق الى النور

قصة بقلم
طارق عون الله

تثاءب قليلا ، ورفع نفسه من الفراش بثقل غريب ، ومد يده اليسرى الى منضدة بالقرب منه ، ليتناول قدح الماء . كان عطشا ، وكان على جوفه الملتهب ، ان يدفع الثمن ، ثمن الليلة الداميه الماضية .

لا ماء في القدح .

حاول ان يتذكر .. هل هو الذي شرب الماء ؟ ام ... ام هذه اللبؤة النائمة بالقرب مني ؟

حاول جاهدا ، ولم يتذكر ، كانت رأسه في اعلى حالات الالم ، ولم يكن يدري ، ما الذي كان عليه ان يفعله في تلك اللحظات العطشى . فلقد كانت تلك الليلة العربيدة ، اول ليلة يقضيها في ذلك البيت الانيق .. الكبير في اجمل ضواحي لندن .

ـ قومي يا ابنة العاهرة .

وربت على اليتها بقليل من القسوة المطلية ببعض الحنان ، وكان تعبا وكانه عاد من حقل مترامي الاطراف ، او كأنه خرج لتوه من سجنه.

ـ ما رقم هويتك ؟؟

ـ ٥٥٥٧٥ . هل لي بجرعة ماء ؟

ـ هل تحلم بانك على ضفاف النيل ؟؟ اغلق فمك القذر .

* * *

وتثاءبت ماري .. وتساءلت قبل ان تستفسره عن معنى الكلمة التي لم تستطع ان تلفظها الا عندما اعادها على مسمعها : « لماذا اخترت هذا الشاب من بين آلاف الناس في « ساحة الطرف الاغر » ؟ من هو ؟ ولماذا هو في فراشي ؟ »

ـ آه ، صباح الخير يا زهير ، اليس اسمك زهير ؟ ماذا قلت لي ، آهرة ؟ هل هي كلمة جميلة يا عزيزي ؟؟ .

ـ انها اجمل كلمة مرت على طرقات لندن الى لساني يا عزيزتي وانها ... كانت الكلمات تبحث عن مخارجها ، وكانت تتنافس ، وتتعارك ولكن كلمة يائسة وقعت سهوا في مطبعة اللسان ، كانت تعبة ، منهكة ، عطشى .

ـ ماء .. ارجوك .

وضحكت ماري .. وقامت ، وارتدت « الروب » على عجل ، وصاحت بكثير من الغبطة :

ـ امرك آهرة .

* * *

اعلنت ساعة الحائط ، الخامسة والنصف والتحقيق لم ينته بعد، لم يهتم زهير للمحققين الثلاثة الذين يستجوبونه ولم يشعر بالتعب طوال تلك الساعات الثلاث التي قضاها واقفا ، كان اهتمامه منصبا على ابريق الماء الاحمر المزخرف ، وبدا يرسم لنفسه خطة :

... الماء في الابريق ، على الطاولة ، والطاولة في الغرفة ، وانا في الغرفة ايضا !! ولا يفصلني عن الطاولة ، الابريق ، الماء ، غير خطوات ثلاث ... بعدد الساعات الثلاث التي قضيتها هنا ! الماء .. الابريق .. الماء ...

وانقض على الابريق . لحظة رعب واحدة .. تراجع معها المحققون الثلاثة كانت كافية لزهير ، ليعانق الابريق بكفيه الداميتين ، وليمتص من حلمته الماء .. الحياة ، لا حياة بدون ماء .

لم تستطع الاصابع المكسورة ان تلقي القبض على الابريق الاحمر .. فسقط الى الارض منتحرا .. وتوزعت اجزاؤه في ارجاء الغرفة العارية . وانتبه المحققون الثلاثة ..

ـ يا موشي .. يا موشي .

صاح المحقق الكبير ، بكثير من الثورة والغضب . ودخل موشي ، برأسه الكبير ، وجثته الماردة .

ـ نعم ، يا سيدي المحقق .

ـ خذ هذا الكلب القذر ، الى الغرفة الاخرى ، لا بل ضعه في الزنزانة الجنوبية ، ولتكسروا انفه ، ورأسه اليابس .

***

ـ الماء يا عزيزي !!

تناول زهير الماء ، وتلفت حواليه .. كان يرتجف !!

... لا احد غيرها في الغرفة .

ـ شكرا يا عزيزتي ...

وجرع جرعة كبيرة من القدح ، وتبعها باخرى اكبر ، كان عطشا ، ولقد زاد في عطشه تلك الصورة المهزوزة التي تجتاحه في لحظات عطشه القليلة ، وخصوصا في لحظات وحدته .

ـ آه ... اشكرك يا ماري .. ان هذا الماء العذب ...

وحاول جاهدا أن يجد كلمة اخرى ينهي بها جملته ، ولكن فمه الصغير الحلو الاسنان ، انفتح عن تثاؤبة كبيرة ، عاد بعدها الى تحت غطائه صائحا :

ـ هل لي بفنجان قهوة ؟؟

ولم ينتظر اجابتها .. واضاف :

ـ قهوة فرنسية اقصد ، فانا لا احب قهوتكم .. وشيء اخير ، قبلة .

ـ امرك آهرة .

كانت تتصور انها كلمة جميلة ! وفي لحظات ذهابها كان يضحك هو ، فلقد اصابته ماري بدون ان تدري هي ، اصابته في الصميم ، وتمتم :

... حقا انا آهرة .. بل الف عاهر . من انا ؟ ولماذا تركت وطني الى هنا ؟؟

كانت الاسئلة ترمي بنفسها على طاولة التشريح ، وهو الذي هرب من الآف الاسئلة وجد نفسه في تلك اللحظة ، محاطا بالعديد منها ، وخلال صراعه العنيف مع الاسئلة المنتحرة على طاولة التشريح ، برزت على السطح صورتها ... هي اماليد وبكل صورها الماضية .. الحاضرة! وبدا يتساءل : « حقا .. ما الفرق بين اماليد وماري ؟ هل هو الفرق بين الموت والحياة ؟ ام هو الفرق بين العبودية والحرية ؟ » واختار التعبير الاخير ، فلقد كان اقرب التعابير الى واقعه : فأماليد كانت تريده عبدا ، وهو الذي هرب من العبودية .. وكانت تريده ان يمنحها نفسه ويدفع الثمن . واما ماري ـ اللبوءة الشرسة الجميلة ، التي تعرف قيمة السرير عندما يحوي رجلا وامرأة : ماري تعرف قيمتي .. وتريدني سيدا .. يأمرها .. وينهاها عن الخطأ ، وهي ايضا جميلة ، جميلة لدرجة تجعلني معها اركع واصلي لجمالها .

لم يكن يعجبه في ماري غير شيء واحد ، هو انها جائعة ، وتريد ان تأخذ الكثير ، وكانت على استعداد لان تخدمه طوال النهار والى ساعات الليل المتأخرة ، فقط من اجل ساعة واحدة يمنح خلالها الجسد الشمعي طعامه المفضل ، ولذلك ، وعلى حد قوله ، فهي عبدة ، عبدة لجسدها ، وعبدة لكل من يمنح جسدها المتعة التي يرجوها . ولكنه ، وفي تلك اللحظات المنهارة ، كان يتهرب من ذلك التعبير العنيف ومن تلك الصورة الشاذة التي رسمها لماري في لحظة ضعف خبيثة .. وتمتم: « اذن ما الفرق بين اماليد ، التي نامت مع اكثر من ضحية ، مع يوسف مثلا ، وبين ماري التي اعطت اكثر مما اخذت ؟ هل هو الفرق بين العبودية والحرية ؟

وضحك من كل قلبه ، حين وجد جملة اقرب : « انه الفرق بين الوحل ، والماء الصافي » .

★ ★ ★

الطائرة ، بانتظار الفارس ، والفارس في الطريق .. هكذا كان يحلم حلم يقظته المفضل ، وبدأ يتذكر .

السيارات تلتهم الطرقات التهاما ، والسير الى المطار ما يزال طويلا ، الدنيا كانت تفسل الطريق امامه .. وتساءل في كثير من القسوة والخوف : « هل الدنيا تفسل الطريق امامي ، ام انها تمحو عن الشارع الطويل بعض آثامي ؟ »

ـ الى اللقاء يا بني !

وبدأت القبلات ، وكان عليه ان يقطع الصف الطويل .. مقبلا تلك الوجوه الحبيبة التي قضى عمره ضاحكا لها . وكانت الدنيا تبكي .

وبكى الاهل والاصدقاء على صوره .. وعلى وجهه ، حتى ان دموعهم بدأت تنهمر من عينيه اللتين ما ذاقتا طعما للنوم خلال يومين .

كانت الاصوات ترن في اذنيه كناقوس خطر، وكان عليه ان يستوعب كل الكلمات . التي ربما سيسمعها لاخر مرة :

ـ تذكر الوصية يا ولدي .. الارض .. والوطن .. والاهل .. والاحباب .

كان ذلك صوت الوالد .. وفي بحيرة القبل والاصوات ، دخل الى قلبه صوت الوالدة كانت تشده بكل حنان الارض الى صدرها وتبكي :

ـ حذار من اولاد الحرام يا ولدي ، ولا تتدخل في السياسة ، كفاك .. فانت تذكر ما حدث لك هنا ، وخذ من الناس ولا تعط ، فالسجن ما يزال مفتوحا بانتظار عودتك « السجن ؟ » لماذا يذكرون هذه الكلمة المريضة .. حتى في لحظة وداعي ؟

لم يجد اجابة واضحة على تساؤله المذدوغ ، وشدته الاصوات مرة اخرى ..

ـ « الى اللقاء » . « الى اللقاء يوم تنزاح الغمامة » .

وتحولت الدموع فجأة الى ضحكات ، وغمزات من عيون الاصدقاء والرفاق ، توفيق ، ووليد ، وهاني ، وسميح ، وميشيل ، وعلي، وادوار، ومحمود ، والبطل ابو القاسم ، واديب ، وسعيد :

ـ اكتب .. اكتب كثيرا .. وسوف نلتقي .. مرة اخرى .

ـ « أرسل برقية » ..

ـ « زهير .. سوف نلتقي .. اليس كذلك ؟

آخر ما رنّ في اذنه وظل حتى تلك اللحظات ، هو صوت وليد .

وجمع كلماته ، واراد ان يجعلها متفائلة ، بطلة ، رائعة ، ولكنها خرجت عفوية .. وبدون مقدمات :

ـ نعم ، سوف نلتقي يا وليد ، ولكن كيف ؟؟

★★★

ـ القهوة يا عزيزي . هل هنالك اوامر اخرى ؟

ـ نعم ؟ آه .. شكرا .. اجلسي بالقرب مني ! فانا لا احلم بشيء اكثر ، « امرأة جميلة ، وقوية ، وعبدة مخلصة » !!

وضايقته تلك الكلمة .. وبدا يراجع نفسه وبسرعة لم يعتد عليها من قبل : « عبدة » ؟؟ ، لا .. لا .. يجب ان ارمي بهذه الكلمة بعيدا ، يجب ان ادفنها في مقبرة التفاهات القديمة .

ـ نحن الاوروبيين ، يا عزيزي ، لا نعرف شيئا عن العبودية . العبودية لم نجربها مرة ، ولذا فلا مانع عندي من ان اخدمك مئات المرات في الساعة ، لا في اليوم .

وارتبك زهير ، الشاب الوحشي القادم من الشرق ، ماذا يقول لها ؟ كان يبحث عن اجابة قوية ، قبل ان تستقر اجابتها كنظرية جديدة :

ـ أقصد عبدة مخلصة لجسدك فانت تقدمين كل شيء لمن يمنح جسدك الشمعي ما يريد !

وحاول ان يستمر بدفاعه المزّيف ، ولكن الكلمات تدافعت فجأة واحدة ، وصنعت من نفسها جملة ، لم يكن يريد ذكرها ، وخصوصا في تلك اللحظات السعيدة :

ـ ان عبوديتك لهي جواز سفر جسدك الى الفراش !

وغضب القمر وغضبت ماري ، وقامت مسرعة الى الباب .. وهي تقول كلاما .. حتى الشيطان نفسه لن يفهمه . ولكنه استطاع ان يلمس اخر الخيط الاسود ، وان يسمع اخر الكلمات الثائرة ، المتناثرة في

جميع انحاء الغرفة :

ـ « ساعد الفطور .. اقول الفطور.. لعله يكون جواز سفر اخر».

كان يريد ان يقول لها شيئا ، ان يعتذر .. ولكن الجملة العاهرة ، كانت قد سيطرت على تفكيره وكان يتمتم خلالها ببرود ، وعصبية :

ـ آه .. جواز السفر !! جواز السفر الازرق !! جواز ...

★★★

ـ اين جواز سفرك ايها السيد ؟

ـ هذا هو .

ـ واين ورقة الاعفاء من الجندية ؟

ـ عفوا ، ليس لدي .. لانني عربي !!

ونظر موظف المطار الى وجهه نظرات حقد كادت ان تدمي وجهه ، وابتسم ابتسامة فيها كل معاني الهزء والسخرية :

ـ وهل بقي في اسرائيل عرب ؟

النقاش يدور في الشوارع ، وفي الساحات ، وفي السجون لا خوف ولا وجل ، ولكن الاكتشاف الجديد ، هو ان النقاش اللئيم بدا يدور في المطار ، وداخل غرف التفتيش .

هكذا قال زهير لنفسه ، قبل ان يبدا بالاجابة على السؤال الكريه المتحدي :

ـ انهم لا يتنهون ايها السيد ، فهم كالصخر في الجبال ، ولكنه صخر من نوع اخر ، صخر لا يقلع .. صخر يلد ويلد ، حتى انني لاحلم بانه سوف يملأ ارض « اللبن والعسل » ذات يوم من ايام الربيع القادمة .

ـ ايام الربيع القادمة ؟

اعادها موظف المطار بارتباك ملحوظ ، وانتصب خلف مكتبه محاولا الدفاع عن ارض جدوده الموعودين ، وبكل قلق الاغبياء وحقدهم ، تحركت عيناه الزرقاوان ، وحاول ان يقول شيئا ، ولكن لسانه دار في فمه ، بلا صوت ، كان يريد ان يكمل الجري في معركة الكلام ، ولكن الفتاة الجميلة التي كانت تساعده ، حسمت الخلاف بسرعة ، كانت جميلة ، وكان على وجهها بعض جمال الله ، قالت بثورية واضحة المعالم :

ـ لماذا تحاول ان تؤخر السيد ، لقد قلت لك سابقا ان حياتنا مع العرب ، وليس مع غيرهم .. او تفهم ؟ » .

ضربة اخرى على رأس الافعى ، كانت كافية لتسكنها ولو للحظات ، وكانت في نفس الوقت كافية لزهير ، ليبتسم من كل قلبه لفتاة المطار وليحمل اوراقه بسرعة الى غرفة التفتيش .

ـ اسمك ؟

ـ زهير خالد .

ـ لم نجد في حقائبك غير بعض التصاريح التي كنت تستعملها في الناصرة ، وبعض اوامر الاقامات الجبرية والصور الزنكوغرافيةلتصاريح اخرى . هل تفسر لنا ذلك ؟؟

ـ للذكرى فقط ، حملتها معي للذكرى .

نظرات حقد وقلق انطلقت من عيني الضابط ، حول معها الحديث ببراعة وسرعة الى ناحية اخرى :

ـ ربما ! ولكني ارى في هذه الحقيبة اشياء اخرى ، اوراقا بالعربية ، هل تترجم لنا بعض ما جاء فيها ؟

ـ رجال الجمارك في مطار اللد اذكياء ، ولكن ذكاءهم ممزوج بعدم المحبة للعابرين وخصوصا لاصحاب الارض الشرعيين .

ـ ليس هذا من اختصاصي ايها السيد .

قالها ضابط الجمارك بتحد .. واضاف :

ـ وعلى كل فانني اخشى ان اقول لك بانك لن تستطيع حمل هذه الاوراق معك ، انها حسب رأيي مواد ضد أمن الدولة .

واضاف بتحد مصطنع :

ـ اقول لك بصراحة ، سوف نرسلها الى مكتب مراقبة المنشورات، وبعدها نرسلها الى من يهمه الامر في الدولة .. هذا اذا لم تحرق !!

ـ ولكني اكون خارج الدولة ايها السيد .

ـ لا يهم .. هل تسمح بأن تعطينا عنوان اهلك ؟ فقد نرسل هذه المواد لهم .

راجع زهير نفسه قليلا .. وفكر :

حين يمسك الكلب بعظمة فانه لا يتركها .. فكيف اذا امسك بقطعة لحم حقيقية ؟

ـ خذوه ..

وتمتم لنفسه : « اذا لم تخني الذاكرة .. فسوف اكتب غيرها ».

واستعد للخروج .. ظانا بانه انتهى من معركة التفتيش ولكن صوت الضابط الاشقر ايقظه من ظنونه حين قال :

ـ هل لك ان تنزع ثيابك ايها السيد ؟؟ ولا داعي للاستغراب ، فلقد حدث هذا مع الكثيرين قبلك !

تذكر زهير ما كان حدثه عنه اصدقاؤه جمال ، وسميح ، وكامل ، يوم عادوا من مؤتمر وارسو ، ولكنه لم يصدق كل ما قالوه له في ذلك اليوم .

وبكى الانسان في اعماقه ، واراد ان يثور ، ولكنه تذكر الوصية ، وصية كامل :

ـ لا تعاند يا زهير ، فسوف تنزع ثيابك ، ان لم يكن بخاطرك ففصبا عنك ، حتى ولو عدلت عن السفر .

ـ لا شيء في ثيابه يا دافيد ...

تمتم الجاويش المهتم بقضايا التفتيش ، للضابط الاشقر الشعر ، واضاف :

ـ هل انظر في مؤخرته ؟؟

وعادت الافعى لترفع رأسها .. وكانت الكلمات خطرة ، لئيمة ، قاتلة ، وانطلق الصوت الصدى ، انه نفس الصوت المعسكر على مرتفعات الجولان ، وعلى قناة السويس ، وعلى نهر الاردن ، انطلق برائحته المتعفنة ، وكأنه اراد ان يحمل معه كل حقد العالم المنهار .. وتشفيه :

ـ انظر ، ولكن على مهل ، وحذار من ان تؤذي مؤخرته الجميلة !! وانهار الجليد وثار البركان . المقاومة لا تنتهي ، حتى في داخل مطار اللد .

★★★

ـ زهير .. كم الساعة ؟؟

ـ الحادية عشرة .. لماذا ؟؟

ـ لا شيء .. عليك ان تغادر الفراش ، فالفطور بانتظارك .

تذكر بانه كان قد اغضبها قبل دقائق ، ولكن الذي اعجبه انها نسيت ، او تناست الجرح الذي لم يكن يريده لها :

ـ ولكني لا افطر يا عزيزتي .. لا افطر اطلاقا ، او لم يكن من المفروض ان تسأليني ؟

ـ لقد سألتك بطريقة غير مباشرة .. الا تذكر ؟ وعلى كل ففي اوروبا يا عزيزي الفطور وجبة اساسية ، وعليك ان تفطر ، والا ...

وظهرت وراء الشفتين العامرتين ... اسنان بيضا منتظمة ، واكملت جملتها :

ـ والا .. فالهزال .

وقام من فراشه بثقل غريب ، فمن امراضه التي لا تموت ، انه يذهب الى الفراش كارها ، ويتركه كارها .. وارتدى الروب ، وبدأ بالبحث عن طريقة يصل فيها الى الحمام ، واخيرا وصل ... كانت بانتظاره هناك ... ودخل الى الحمام ... واستحم بسرعة .. وبدأ بارتداء ثيابه ... وخلال عملية ارتداء الملابس .. سمع صوتها ينادي :

ـ الفطور سيبرد !! سأعد الشاي من جديد .

وبدأ يتساءل ، وكأنه عزم على الخروج من تساؤله بنتيجة : « حقا، لماذا لا ابدأ بتعويد معدتي على الفطور ؟؟ ولماذا لا ابدأ بتنظيم نفسي مثل الآخرين ؟؟ في السجن كنت افطر ، وكنت اقبل على فطوري بشهية. فطوري المكون من قطعتي سردين ، ونصف بيضة واربع حبات زيتون ، وشريحتي خبز اسود » .

ووصل الى غرفة الطعام .. غرفة واسعة وانيقة .. وكل شيء فيها ازرق .. حتى .. ان الحيطان زرقاء .. بلون السماء ... هل انا في حلم ؟

ضحك من نفسه ، فلقد كان ذلك الواقع الذي يعيشه اكثر من حلم ، وحتى انه كان بالنسبة له اكبر من حقيقة ايضا .

★★★

بدأ العرق يتصبب من وجهه ، ومن رأسه ، ومن كل مكان ، فلقد ضايقته احدى القطعتين الحادتين اللتين تجوسان في مؤخرته .. واخذ العقل الباطن باستيعاب الصور : « انهم يفتشون في مؤخرتي عن شيء .. ماذا ؟؟ اوراق سرية ؟ شريط سينمائي ؟؟ »

وضحك من كل قلبه حين خطرت على باله كلمة اخرى بركانية : « متفجرات ، متفجرات »

واضاف لنفسه بتحد كثير :

« انهم يفتشون كل عربي يمر من هذا المطار » !! ولم تنل تلك الجملة اعجابه فاخذ يبحث عن اخرى ، واحس بالكثير من التحدي حين وجد جملة اقرب واصوب : « انهم يفتشون كل عربي يمر من هذه الخربة التي يدعونها بالمطار ، وسوف تمر ايام طويلة قبل ان يستطيعوا اعادتها الى حالتها السابقة ، فالعملية الفدائية كانت ناجحة » .

ـ آخ ... خ ... خ ... خ !!

الآلة الحادة استطاعت ان تؤذي مؤخرته ، كذلك شاءت او ، كذلك شاء موظف المطار الذي اصبحت له وظيفة جديدة ، وخصوصا بعد حرب حزيران ، وهي التفتيش في المؤخرات :

« موظف المطار لا يريدني ان افكر ، من الخطورة ان يفكر العربي داخل المطار ، انه يريدني ان اظل معه بجسدي ، عقلي ايضا ! »

كان يقاوم ، وكان يهرب من الاذى الى ابعد نقطة على الارض ، ويعود بعدها ليجد الآلة الحادة ، تشارك اختها .. في عملية تمزيق اللحم الانساني .

... ـ « قماحين .. قماحين » !

اصبحت الكلمة كبيرة .. وكان يود ان يقولها بصوت عال ، ولكن الصوت الصديء انقذه قبل قذف القنبلة :

ـ معذرة أيها السيد ، ان اكن آذيتك !! باستطاعتك ان ترتدي ثيابك .

وتابع الضابط بسرعة ، وكأنه كان يخجل من نفسه :

ـ بسرعة من فضلك ، فالطائرة ستغادر ارض المطار بعد خمس دقائق .

ارتدى ثيابه على عجل ، وباسرع مما تصور ، كان عليه ان يلحق بالطائرة . فلقد قال له الاصدقاء في لندن ، ان العالم مفتوح هناك ، وخصوصا في نظر الانسان الشقي .

يجب ان الحق بالطائرة .. يجب .. انها فرصة العمر .

ـ هل تفكر يا زهير ، في الناصرة ؟

ـ هيه ؟؟ عفوا ... لا شيء يا عزيزتي ، لا شيء .. اشكرك على الفطور ، فانا لا احلم في ان اجد طاهية افضل منك .

وفكر قليلا : « المرأة مفرودة بطبيعتها ، وعليّ ان اقول لها ما تريد وبسرعة حتى احصل منها على ما اريد وبدون ان تشعر هي » .

وترك المائدة بقليل من النشاط ، ومشى الى البهو الكبير الطويل ، وارتدى معطفه وهي تتبعه بصمت ، واخيرا .. قالت :

ـ هل لي بقبلة ؟؟

ـ ....

ـ متى تعود ؟؟ هل اراك الليلة مثلا ؟؟

ـ بكل سرور !! التاسعة والنصف . هل يناسبك الوقت ؟

ـ بالطبع يناسبني !! هل لي بقبلة اخرى ؟

ـ ....

قبلها وخرج من البيت . وحمله الشارع الطويل .. الى لا مكان . وبدأت تحمله الشوارع الاخرى .. وتقذفه ، كان يسرع في مشيته ، ثم اصبح يمشي ببطء ثم وجد نفسه يزحف .. ويزحف .. الى اين ؟؟

الى اين امشي ؟؟

★★★

كانت الطائرة تحلق في الجو ، وتحته كانت مدينة اللد الجميلة ؟ ونظر من النافذة وبكى :

فلسطين جميلة ، فلماذا غيروا اسمها ؟؟

كان في تساؤله العقيم .. حيرة .. وضلال ، وثورة :

« فلسطين رائعة ، وجميلة ، ودافئة ، وهي لنا .. لنا .. لنا . قالها بثورة غريبة ونظر الى النهر ، وكأنه يسأله عنها . وفجأة ، سمع صوت رجل عجوز ـ لعله سكران يشتم .. ويقول بصوت مخنوق :

ـ لندن قذرة ، وكئيبة ، وباردة .

وتمتم زهير خالد بفرح كبير ...

ـ نعم ، نعم ، فلقد اضاعت كنوزها ، ولم يبق لاهلها غير القشور .

كان سعيدا ، في تلك اللحظة .. فلقد التقى الحرف العربي ... بالحرف الانجليزي ليقولا كلمة حق !! واحس بقوة غريبة ، تدفعه الى الامام . ومشى بعزم وثبات وبدأ يخترق النفق المؤدي الى ضفة النهر الاخرى . واحس برطوبة قوية تهاجم انفه ... وتمتم :

الرطوبة قوية !! والنفق معتم !! لا بأس .. لا بأس !! وغذ بسيره ، كان عليه ان يصل الضفة الاخرى ، حيث الرطوبة اقل ... والنور اكثر .

لندن

طارق عون الله